بنت الفجر

مثال الحب البنوي والشجاعة وشرف النفس (تتمة)

٩ً : اللقاء

خرج الراشد ورفاقه من السجن ، فاتى بهم رسول الملك الى القصر ودعا الراشد الى لقاء ابنته في غرفتها . فدخل وقلبه يتلهب شوقاً فخفت لاستقباله بنت الفجر فضمها الى صدره ... وبعد تبادل القبل وتمازج العبرات ، التفت حواليه وقال :

— : اين والدتك ؟

— : في دار النعيم !

— : وولدك ؟

— : معها وفي حضنها هناك ! ....

وسردت الوقائع ، واوردت الاخبار ، والشيخ يتلقى الحديث صابراً على عداء الدهر . ومعجباً بغرائب بنت الفجر ....

— . وكيف حال الاعوان يا والدي ؟

— : في خير وسلام ، قد شعروا ان لك في خلاصهم يداً بيضاء ، فهم لهمتك شاكرون

وهنا استأذن الحاجب ودخل فدعا الراشد وبنت الفجر الى غرفة الطعام فتبعاه .

١٠ً : بين الملوك

ارفض عقد المجلس ، فامر الملك فرديناند والملكة ايزابيل باحضار الراشد وبنت الفجر واعوانها فحضروا فدار بينهم الحديث الاتي :

... — : حيا الله الملك والملكة !

— : حيا الله الامير الراشد وبنت الفجر واعوانها ! قدمتم على السعة والرحب فاستريحوا آمنين .

— : الملكة (وهي تتبسم) : لوكان اليوم ، في العرب ايها الامير عشر نفوس ، وعشر عقول ، كنفس وعقل كريمتكم الاميرة بنت الفجر وكانت الشؤون في عهدتهن ، لما خرجت الاندلس من ايادكم .

—: الراشد : اذا كانت الملكة ايزابيل تقصد بهذه التورية التقريع ، والحط من قدر رجالنا ، فانا ارد كلامها ، واوثر العودة الى المشنقة « مرجوحة » الابطال ... اما اذا كانت مخلصة الاعجاب ببنت الفجر فاني اشكر لها اخلاصها ، واصرح لها ان الشهامة والبسالة والدراية لاينكرها رجالنا على نسائنا ، فهي من آثار محتدهن العربي ، ومزايا تربيتهن القويمة .

اما خروج بلادنا من ايادينا ، فهو والعالم يشهد ، نتيجة تنازع واطماع امرائنا بني الاحمر .... قد استعان ملكنا ابو عبدالله على عمه بعدوه وعدو عمه ، فتناول العدو رأسيهما معاً وما زال يضرب احدهما

بالآخر حتى فلقهما فلقاً ! .... اتخد امراؤنا ، بعضهم بعضاً عدواً ، فساقوا اقوامهما الى ميادين القتال ، تأكل السيوف العربية ، لحوماً عربية ، والعدو رابض من وراء الاخوان المتذابحين ، حتى خلا له الجو فاقتحمهم ، وما هي الا دورة اودورتان حتى ظفر بهم جميعاً ...

وهذا كلامي بل اقراري اودعه للتاريخ ، غير هياب من الحقيقة لعل الاحفاد يعتبرون !

— : الملكة : العفو ، ايها الامير ماكان قصدي ان اثير في صدرك نيران اشجان قد خمدت ...

— : الراشد : ماخمدت ولن تخمد ، انما تظل ملتهمة احشائي حتى تفنيني ...

الملكة : ايطيب لك ايها الامير ، ان تقيم عندنا عزيزاً كريماً ، في قصر تختاره ؟ وتبقى بنت الفجر في صحبتي ، اختاً حبيبة ، لي ؟

الراشد : اذا كان الخيار بيدي ، فاني مؤثر الرحيل الى قومي العرب في افريقية .

بنت الفجر : وانا تابعة والدي ، لاخماد النار المتأججة في ضلوعه وتليين الصعاب امامه فان الله ، بعد اخذه جميع افراد اسرتنا شاء ان اكون انا عصا شيخوخته يعتمد علي في السبل الوعرة ...

الملكة : فليكن لكما ما تحبان .

الملك : من كانت بنت الفجر دليله ومعتمده ، سار « راشداً » امينا ، محفوفاً « بالنور » والسرور .

وهنا دعت الملكة رئيس ديوانها واعطته الاوامر اللازمة في شأن الراشد وابنته وحاشيتهما . ثم التفتت اليهم وقالت : « تبقون عندنا ضيوفا كراماً ريثما تصيبون من الراحة حظاً وافياً وقد امرت بالمبالغة في اكرام مثواكم واعداد وسائط سفركم الى حيث تريدون وسأتبعكم الكرامة حيث سرتم » .

فشكروا وخرجوا واذا بالقائد الكريم في انتظارهم في ساحة الحمراء . فقدمته بنت الفجر الى والدها قائلة : هذا هو الامير العزيز الذي وصفت لك آيات مروءته . وكيف انقذني واكرمني وهداني اليك » فعانقه الراشد . وسأله ان يصحبه ليتحادثا . فكان الراشد ينعته « بالمحسن » فاطلقه عليه اسماً شريفاً . وظل هو وابنته يناديانه عند الحديث بيا « محسن »

١١ : الدهشة

بعد ان اقام الضيوف الكرام اياماً في احد القصور الملكية ونالوا حظاً وافياً من الراحة ، ودعوا الملك والملكة مثنين على كرمهما . ثم برحوا غرناطة وسافروا ، لركوب البحر الى افريقية . وكان في معيتهم « تائب » . واما الفتى الصياد فخلعت عليه الملكة واطلقته حسب طلب

بنت الفجر فانصرف راضياً شاكراً .

وما اشد ما كانت دهشة بنت الفجر لما رأت الامير « محسناً » قد اعد لهم بامر الملكة سفينتين عظيمتين وفيهما سرية من الجنود لحراستهم والمحافظة عليهم من القرصان (لصوص البحر) وازدادت دهشتها لما ايقنت ان الامير «محسناً» قد تولى هو بنفسه امر مرافقتهم وايصالهم الى سواحل افريقية

١٢ : وداع الاندلس

وقف الراشد وابنته واعوانه على الساحل فالقوا على المملكة الذاهبة نظرة طويلة ولم يتمالكوا ان بكوا بكاء المحبين المودعين ونشجوا نشيجاً مراً فانشأت بنت الفجر تودع الاندلس وتقول :

وداع بنت الفجر

(قد بنى الشاعر البناء هذه الابيات لهذا الوداع فاتحف بها ليلى)

الوداع الوداع مسقط رأسي ... وبلادي ودار عزي وانسي
الوداع الوداع تاريخ مجدي ... ومغاني اهلي ومنبت غرسي
فوداعاً (قرطبة) العرب مني ... حيث لاقيت مأتماً بعد عرس
نهر (غرناطة) لفقدك دمعي ... فيه سفن الاحزان تطفو وترسي
لك قصر (الحمراء) نار بقلبي ... تتلظى ولوعة بالتأسي
انت يا قصر لم تغب عن لحاظي ... لحظةً لا ولم يفارقك حسي

حسرات عليك في النفس مني ... باقيات الى الممات بنفسي
فيك كنا اعزةً فلماذا ... باعنا الدهر بيع غبنٍ وبخس
ان ايامنا التي فيك مرت ... بدلت سعدها الليالي بنحس
يا رعى الله سالفات ليالٍ ... فيك كانت للدهر لذة خلس
فيك غابت بعد العلى عبدشمس ... فسلام مني على (عبدشمس)
فيك منا غارت نجوم علومٍ ... وتركنا لديك اقمار انس

****

فوداعاً يا رمس ام وجودي ... ليتني نمت فيك يا خير رمس
قد رحلنا يا دار عنك اضطراراً ... ونسينا علاك والدهر ينسى
بابتهاجٍ يا دار فيك دخلنا ... وخرجنا ما بين صمٍ وخرس

وكانت الامواج تلطم الساحل تحت اقدامهم فتمتزج بها العبرات والزفرات ، فتذهب سدى . . .

ثم انحدر الراشد وبنت الفجر والحاشية الى السفينة فسارت بهم تمخر عباب الماء ، فسجل التاريخ في تلك الساعة ان قد تم جلاء العرب عن الاندلس بعد ان عمروها مدة لا تقل عن ٨٠٠ سنة

١٣ : القضاء المبرم

الراشد شيخ كبير السن وقد ضعفت صحته في الحرب وفي جانب

منها في سجن القلعة المهول . فما نزل الى البحر الا وشعر بوهن عظيم ، ومرض شديد في امعائه عقبته حمى قوية لم تتمكن بنت الفجر والامير «محسن» من الانتصار عليها رغماً عن كل انواع المعالجات والاعتناءات.. فايقنت بنت الفجر ان القضاء مبرم .... وقد حل الاجل المحتوم ، الذي ، لايمنعه ولايؤخره ، حب ابنة ، او احسان صديق ....

١٤ : امر عظيم غير منتظر

لما ان شعر الشيخ بدنو ساعة رحيله الى الديار الابدية . القى نظرة طويلة على بنت الفجر ، وكانت قائمة عن يمين سريره . ثم ادار عينه فرمق الامير محسناً ، وكان واقفاً الى يساره ، ولما وقعت العين على العين سالت دموع الاب والبنت والمحسن . فاخذ الشيخ يد ابنته ويد الامير وتفرس في بنت الفجر ثم تأوه وقال : « انا لا اجبرك على شيء يا فلذة كبدي ؛ « انما اراني لا استريح في قبري ما لم اعرض عليك امراً .. » فكأن سيالاً كهربائياً اندفق من الاب فاتصل ببنت الفجر وبمحسن .... فارتجف قلب الاولى ، وخفق فؤاد الثاني ... فمسحت بنت الفجر عبرات سالت من عيني والدها وانحنت الى رأسه تقبله وتقول : « تكلم يا والدي فان ابنتك سامعة ،طيعة ! .. »

قال ، وقد خفت صوته : « احب ان يكون الامير محسن ، قريناً لك ، شريكاً لحياتك ، بمقتضى امر الله وشرعه » .... وصار يسأل

الاثنين ، بنظره ، ان يعطياه الجواب العاجل الشافي . فلم تطل عليه ابنته الانتظار فقالت : « انا احب ما يحبه ابي » واسرع محسن وقال : « قلبي بين ايديكما ، وانا لكما » . فقال الشيخ : « لكما البركة والسلام !. لقد اطمأنيت ... » ثم سكت ...

وماهي الا نظرة ملاكية تبادلها الحبيبان الجديدان حتى اسلم الشيخ بين ايديهما روحه ...

انتهت

الاسماء عند الصينيين

ان الصينيين يعطون اولادهم ثلاثة اسماء في ثلاثة ازمنة. فيعطونهم الاسم الاول حين يبلغون ٢٨ يوماً من العمر والاسم الثاني حين يدخلون الى المدرسة . والاسم الثالث حينما يتزوجون .

التعبير واحد !

اضطر ذات يوم احد تجار الاحذية الى مساعدة مستخدميه في البيع. فقال : لاحظت ، ان البائع مهما اهتم ان يقدم للسيدة حذاء يريحها ويناسبها فمن المستحيل ان ينجو من ملاحظاتها . فقد صرفت مع احدى السيدات اكثر من ساعة وانا اعرض عليها اشكال الاحذية حتى اختارت واحداً وبعد ان جربته . قالت : الا تفتكر ان احدى رجلي « اكبر » من الاخرى ؟ ماذا تقول ؟ ..

— : انا اقول خلاف هذا يا مادام . ارى ان الواحدة « اصغر » من الاخرى ؛ والخيار في ذلك لك ..